سورة الرعد

وهي من السور المكية . (نزلت قبل الهجرة) .

(الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِيَ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ (١)) .

[الرعد : ١] .

(**الر**) تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السور .

(**تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ**) أي : هذه آيات الكتاب .

ف(تِلْكَ) إشارة إلى آيات السورة المسماة بالر.

والمراد بالكتاب : القرآن .

أي : تلك الآيات التي نقرؤها عليك- يا محمد- في هذه السورة هي آيات الكتاب الكريم .

- **وذهب بعض العلماء** : أن المراد بالكتاب : التوراة والإنجيل ، قاله مجاهد.

- وسمي القرآن كتاباً:

لأنه مكتوب في اللوح المحفوظ: كما قال تعالى (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ. فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ).

وهو مكتوب في الصحف التي بأيدي الملائكة: قال تعالى (فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ. فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ. مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ)

وهو مكتوب في الصحف التي بأيدينا، ونقرؤه من هذه الكتب.

(**وَالَّذِيَ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ**) أي : وما أنزله الله- تعالى- عليك في هذا الكتاب، هو الحق الخالص الذي لا يلتبس به باطل، ولا يحوم حول صحته شك أو التباس.

- **قال القرطبي** : قوله تعالى (مِن رَّبِّكَ الحق) لا كما يقول المشركون : إنك تأتي به من تلقاء نفسك ؛ فاعتصم به ، واعمل بما فيه.

- **قال مقاتل** : نزلت حين قال المشركون : إن محمداً أتى بالقرآن من تلقاء نفسه.

(**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ**) لبيان موقف أكثر الناس من هذا القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

أي : لقد أنزلنا عليك يا محمد هذا القرآن بالحق، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون به لانطماس بصائرهم ، واستيلاء العناد على نفوسهم .

الفوائد :

١-إعجاز القرآن، فإنه مكوّن من جنس الحروف التي يتألف منها سائر الكلام، وقد عجزت العرب أن يأتوا بسورة مثله.

٢ - أن من أسماء القرآن الكتاب.

٣- أن القرآن منزل غير مخلوق.

٤ - إثبات علو الله تعالى.

٥ - أن القرآن منزل على محمد ﷺ .

٦- تحريم التكذيب بالقرآن.

٧ - وجوب الإيمان بالقرآن.

٨- أن القرآن كله حق ، وما جاء به متضمن للحق الكامل.

(اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢)) .

[الرعد : ٢] .

(**اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا**) يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ كَمَالِ قُدْرَتِهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ أَنَّهُ الذي بإذنه وأمره رفع السموات بِغَيْرِ عَمَدٍ، بَلْ بِإِذْنِهِ وَأَمْرِهِ وَتَسْخِيرِهِ رَفَعَهَا عن الأرض بعدا لا تنال ولا تدرك مَدَاهَا.

– وقوله (بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قيل : لها عمد لكنها لا ترى . (يعني لها عمد لكنها غير مرئية) .

وقيل : هي مرفوعة بلا عمد كما ترونها . (أي : كما نراها ونشاهدها من غير عمد) .

- **ورجح هذا ابن كثير فقال** : قَالَ إِيَاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ: السَّمَاءُ عَلَى الْأَرْضِ مِثْلُ الْقُبَّةِ «٢» ، يَعْنِي بِلَا عَمَدٍ، وَكَذَا رُوِيَ عَنْ قَتَادَةَ، وَهَذَا هُوَ اللَّائِقُ بِالسِّيَاقِ، وَالظَّاهِرُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى:

وَيُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ) فَعَلَى هَذَا يَكُونُ قَوْلُهُ: تَرَوْنَهَا تَأْكِيدًا لِنَفْيِ ذَلِكَ، أَيْ هي مرفوعة بغير عمد كما ترونها، وهذا هُوَ الْأَكْمَلُ فِي الْقُدْرَةِ،

- **قال الخازن** : في قوله : (ترونها) قولان :

أحدهما : أن الرؤية ترجع إلى السماء يعني : وأنتم ترون السماوات مرفوعة بغير عمد من تحتها يعني ليس من دونهما دعامة تدعمها ولا من فوقها علاقة تمسكها ، والمراد نفي العمد بالكلية.

قال إياس بن معاوية : السماء مقببة على الأرض مثل القبة ، وهذا قول الحسن وقتادة و جمهور المفسرين ،

والعمد: جمع عماد، وهو ما تقام عليه القبة أو البيت.

والقول الثاني : إن الرؤية ترجع الى العمد ، والمعنى أن لها عمداً ولكن لا ترونها أنتم .

والقول الأول أصح .

– ولا شك أن خلق السموات على هذه الصورة من أكبر الأدلة على أن لهذا الكون خالقا قادرا حكيما، هو المستحق للعبادة والطاعة.

(**ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ**) أي: علا وارتفع على العرش، وأما كيفية ذلك فالله أعلم بكيفيته.

– والعرش: ذلك السقف المحيط بالمخلوقات، وهو من أعظم المخلوقات.

– وفي الآية إثبات العرش.

والعرش: لغة عبارة عن السرير الذي للملك، سمي عرشاً لارتفاعه عليه

وشرعاً: هو العرش الذي أضافه الله لنفسه وهو سرير عظيم ذو قوائم تحمله الملائكة وهو كالقبة على العالم، وهو سقف هذه المخلوقات، **وقد وصفه الله بأوصاف عظيمة:**

– وصفه بالعظمة:

قال تعالى (ورب العرش العظيم).

– ووصفه بأنه كريم:

قال تعالى (فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش العظيم).

– ومدح نفسه سبحانه بأنه ذو عرش:

كما قال تعالى (رفيع الدرجات ذو العرش).

- وأخبر سبحانه أن للعرش حملة:

قال تعالى (الذين يحملون العرش ومن حوله ...).

وقال تعالى (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية).

- وأخبر سبحانه أن عرشه كان على الماء قبل أن يخلق السموات والأرض:

قال تعالى (وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء).

- وأخبر النبي ﷺ أن العرش فوق الفردوس:

قال ﷺ (إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن).

- وله قوائم:

قال ﷺ (لا تخيروا بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق فإذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش ...).

- في هذه الآية إثبات أن الله مستو على عرشه، وهذا معتقد أهل السنة والجماعة، استواء يليق بجلاله من غير تكييف.

وقد ذكر الله استوائه على العرش في سبع مواضع من القرآن.

وقد فسر أهل التعطيل الاستواء بمعنى الاستيلاء، واستدلوا بقول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف أو درهم راق

لكن هذا البيت لا يعرف قائله.

(**وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ**) أي : ذلل الشمس والقمر لمصالح العباد .

كما قال تعالى : (وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ) .

- **قال الشيخ السعدي رحمه الله** : وتسخيره للشمس والقمر ، يجريان بتدبير ونظام ، لم يختل منذ خلقهما ، لقيم بذلك من مصالح العباد ومنافعهم في دينهم ودنياهم ، ما به يعتبرون وينتفعون .

– والاقتصار على الشمس والقمر ؛ لأنهما أظهر الكواكب وأعظم من غيرهما ، فتسخير غيرهما يكون بطريق الأولى . وقد جاء التصريح بتسخيرهما مع غيرهما في قوله تعالى (وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْر) .

(**كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى**) أي : كل يسير بقدرته تعالى إلى زمن معين .

والجري : السير السريع.

كما قال تعالى (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) .

– وقوله (لأَجَلٍ مُّسَمًّى) أي : إلى وقت معلوم .

وهو فناء الدنيا ، وقيام الساعة التي عندها تُكوّر الشمس ، ويُخسَف القمر ، وتنكدر النّجوم ، وتنتثر الكواكب.

كما وصف الله تعالى ذلك في قوله (إِذَا الشمس كُوِّرَتْ * وَإِذَا النجوم انكدرت) (إِذَا السماء انشقت) و (إِذَا السماء انفطرت) (وجَمَعَ الشمس والقمر) .

- **قال ابن الجوزي** : قوله تعالى (كل يجري لأجل مسمى) أي : إلى وقت معلوم ، وهو فناء الدنيا.

- **وقال الخازن** : قوله تعالى (كلٌّ يجري لأجل مسمى) يعني إلى وقت معلوم ، وهو وقت فناء الدنيا وزوالها.

(**يُدَبِّرُ الأَمْرَ**) أي : يصرّف بحكمته وقدرته أمور الخلق وشؤون الملكوت ، من إيجاد وإعدام ، وإحياء وإماتة ، وإغناء وفقر .

(**يُفَصِّلُ الآيَاتِ**) يعني أنه تعالى يبين الآيات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته .

- **قال الشوكاني** : أي يبينها ، وهي الآيات الدالة على كمال قدرته وربوبيته ، ومنها ما تقدّم من رفع السماء بغير عمد ، وتسخير الشمس والقمر وجريهما لأجل مسمى .

(**لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ**) أي : لعلكم توقنون وتصدقون بأن هذا المدبر والمفصل ، لا بد لكم من المصير إليه ، بالبعث بعد الموت للجزاء ؛ فإن من تدبر حق التدبر ؛ أيقن أن من قدر على إبداع ما ذكر من الآيات العلوية ؛ قدر على الإعادة والجزاء ! .

الفوائد :

١- بيان شيء من قدرة الله تعالى .

٢- أن خلق السماوات من أعظم الآيات التي تدل على قدرة الله وعظمته .

(وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) أي: وليس عبثاً ، فإن الله منزه عن العبث ، فكل شيء أوجده الله أوجده لحكمة ، فالحق ضد الباطل ، فالله خلقهما لحكم باهرة ، لم يخلقهما باطلاً ولا عبثاً ولا لعباً

كما قال تعالى (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّار).

وقال تعالى (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (١٦) لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ).

وقال تعالى (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (٣٨) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُون).

فمن الحق الذي كان خلقهما من أجله: إقامة البرهان على أنه الواحد المعبود وحده جلا وعلا.

كما قال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ).

وقال تعالى (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ).

ولما بين تعالى في أول سورة الفرقان ، صفات من يستحق أن يعبد ومن لا يستحق ، قال في صفات من يستحق العبادة (الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً).

والآيات في مثل ذلك كثيرة تدل دلالة واضحة على أنه تعالى ما خلق السماوات والأرض وما بينهما إلا خلقاً متلبساً بالحق .

ومن الحق الذي من أجله خلق السموات والأرض ، تعليمه لخلقه أنه تعالى على كل شيء قدير ، وأنه قد أحاط بكل شيء علماً ، كما قال تعالى (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً).

ومن الحق الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما: هو تكليف الخلق، وابتلاؤهم أيهم أحسن عملاً ثم جزاؤهم على أعمالهم، كما قال تعالى (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً).

ولما ظن الكفار أن الله خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً ، لا لحكمة تكليف وحساب وجزاء ، هددهم بالويل من النار بسبب ذلك الظن السيئ فقال تعالى (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ) ، وقد نزه تعالى نفسه عن كونه خلق الخلق عبثاً ، فقال تعالى (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ. فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ). فقوله تعالى (فَتَعَالَى اللَّهُ) أي: تنزه وتعاظم وتقدس عن أن يكون خلقهم لا لحكمة.

٣- من الآيات العظيمة رفع السماوات بغير عمد .

٤- إثبات استواء الله على العرش من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل .

٥- إثبات علو الله تعالى .

٤-نعمة الله على عباده بتسخير الشمس والقمر لهم .